تقرير القنصل الأمريكي في الظهران

بشأن مقابلة بعثة هاريس الزراعية الملك عبدالعزيز في الرياض
عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م

ترجمة وتعليق

د. فهد بن عبدالله السماري

حمل لملك عبدالعزيز لواء الدفاع عن القضية الفلسطينية منذ أن بدأت الأحداث والسياسات تتبلور في صالح المسألة اليهودية على حساب الحقوق العربية، وتوجه بنداءاته ورسائله نحو زعماء الدول المؤثرة على الساحة الدولية آنذاك من أجل إنصاف العرب في قضيتهم في فلسطين. ففي ٧ شوال ١٣٥٧هـ (٢٩ نوفمبر ١٩٣٨م) كتب الملك عبدالعزيز للرئيس روزفلت رسالة جريئة ومطولة أوضح فيها حقيقة القضية الفلسطينية وزيف الادعاءات اليهودية، وطالب فيها جلالته الرئيس روزفلت تقرير الحق والعدل والإنصاف في مواجهة هذه المسألة. واستمرت رسائل الملك عبدالعزيز وبرقياته إلى الرئيس الأمريكي بكل قوة وصراحة دفاعا من جلالته عن القضية الفلسطينية العربية. ولم تكن تلك الرسائل فقط هي الوسائل التي استخدمها الملك عبدالعزيز من أجل خدمة هذه القضية العربية المهمة حيث قدمت المملكة العربية السعودية قيادة وشعبا الكثير من الدعم المعنوي والمادي والسياسي لمساندة الشعب العربي الفلسطيني.

وعندما أنهى الرئيس فرانكلين روزفلت، اجتماعه مع زعماء دول الحلفاء الرئيسة في يالطا في عام ١٣٦٤هـ(١٩٤٥م)، قرر مقابلة الملك عبدالعزيز صاحب الصوت القوي والدعم غير المحدود من أجل القضية الفلسطينية، والذي عرفت واشنطن مواقفه وإيضاحاته عبر الرسائل والاتصالات الدبلوماسية العديدة التي لم ينشأ مثلها شيء بين الولايات المتحدة وأي زعيم عربي آخر حول هذا الموضوع.

وجاءت مقابلة روزفلت للملك عبدالعزيز في ٢ ربيع الآخر ١٣٦٤هـ (١٤ فبراير ١٩٤٥م) على متن الطراد الأمريكي "كوينسي" في البحيرات المرة، لتبرهن للرئيس الأمريكي حقيقة موقف الملك عبدالعزيز وصلابته تجاه الحق

والعدل وإنصاف الشعب العربي في فلسطين.

وبعد مرور عام تقريبا على ذلك الاجتماع التاريخي أظهر الملك عبدالعزيز خيبة أمله وإحباطه تجاه السياسة الأمريكية وعدم الوفاء بالوعود التي قطعها له الرئيس الأمريكي في اجتماع البحيرات المرة، وذلك لسببين هما: تصريحات الرئيس هاري ترومان، وظهور تقرير لجنة فلسطين الأمريكية والبريطانية.

وتوضح لنا الوثيقة المترجمة هنا جوانب ذلك الإحباط وحقيقة مواقف الملك عبدالعزيز من القضية الفلسطينية التي سيطرت على تفكيره ولقاءاته السياسية والدبلوماسية مع الوفود الأمريكية والبريطانية وغيرها من أجل حماية الحقوق العربية في فلسطين.

والوثيقة المختارة هنا هي عبارة عن تقرير أعده القنصل الأمريكي في المملكة العربية السعودية في عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م بشأن لقاء الملك عبدالعزيز في الرياض ببعثة هاريس الزراعية الأمريكية التي كانت في مهمة رسمية بناء على التعاون الفني بين البلدين. والملحوظ في هذا التقرير تحول موضوع الحديث في ذلك اللقاء من الشأن الداخلي الذي جاءت من أجله البعثة الزراعية الأمريكية إلى الشأن الخارجي الذي يهم الملك عبدالعزيز أكثر ويضع له الأولوية في برنامج سياسته الداخلية والخارجية. كما أظهر هذا التقرير قوة موقف الملك عبدالعزيز السياسي وتركيزه على القيم التي يؤمن بها ورؤيته الثاقبة في التعامل مع القوى ذات التأثير في الساحة الدولية دون خضوع أو يأس أو تردد في الإعلان عن رأي سياسي أو موقف حقيقي يخدم القضية العربية.

وتنبغي الإشارة هنا إلى أن هذا التقرير لا يمثل سوى وثيقة واحدة من بين عشرات الآلاف من الوثائق التاريخية التي تتناول مواقف الملك عبدالعزيز وسياسته الخارجية تجاه دعم القضية الفلسطينية. ويتميز هذا التقرير بأنه يدوِّن جوانب كثيرة من شخصية الملك عبدالعزيز القوية وحكمته في التعامل السياسي والدبلوماسي مع الالتزام بمبادئه وقيمه. كما يعكس التقرير أسلوب الملك عبدالعزيز المتميز في تناول أصعب الموضوعات وقدرته على الإقناع المبنية على صدقه في مواقفه وإخلاصه للقضايا التي يؤمن بها.

يتكون هذا التقرير من قسمين، خصص الأول منهما لرصد مجريات الحديث الذي جرى بين أعضاء الوفد والملك عبدالعزيز بشكل دقيق، والثاني عبارة عن ملحق خصص لوصف الرحلة التي قام بها أعضاء الوفد من جدة إلى الرياض لمقابلة الملك عبدالعزيز. ويوجد هذا التقرير في الأرشيف الوطني للولايات المتحدة الأمريكية تحت رقم (890 F. 61/6-1446).

الوثيقــــــة

الرقم ٤٣ سري

القنصلية الأمريكية الظهران، المملكة العربية السعودية

١٤ يونيو ١٩٤٦م

الموضوع: مقابلة الملك عبدالعزيز آل سعود بصحبة بعثة هاريس الزراعية، ورحلة عن طريق البر عبر المملكة.

إلى صاحب السعادة وزير الخارجية، واشنطن:

أتشرف بالإشارة إلى برقيتي رقم ٥٦ وتاريخ ٢١ مايو ١٩٤٦ في الساعة ٩ صباحا، بشأن لقائي بالملك عبدالعزيز في الرياض، وذلك بصحبة ممثلي بعثة وزارة الزراعة الخاصة للشرق الأدنى، السادة هاريس (Harris) وبوكانن (Buchanan) و طنوس (Tannous). تمت المقابلة في صباح الثامن عشر من مايو ١٩٤٦ بعد رحلة ٦٠٠ ميل من جدة بواسطة سيارة وشاحنة خصصها لنا الملك. وتعد ظروف هذه الرحلة أقل أهمية من المقابلة ؛ لذا تم إلحاق تقرير حولها في نهاية هذه الرسالة.

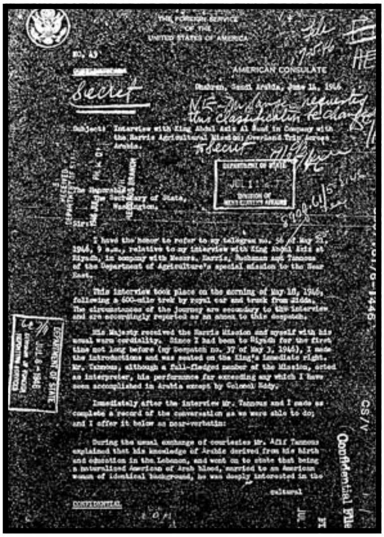

THE FOREIGN SERVICE
OF THE
UNITED STATES OF AMERICA

No. 43

~~CONFIDENTIAL~~
Secret

AMERICAN CONSULATE
Dhahran, Saudi Arabia, June 14, 1946.

NE - ... requesting this classification be changed

Subject: Interview with King Abdul Aziz Al Saud in Company with the Harris Agricultural Mission; Overland Trip Across Arabia.

Secret

DEPARTMENT OF STATE
JUL 11
DIVISION OF NEAR EASTERN AFFAIRS

The Honorable
The Secretary of State,
Washington.

Sir:

I have the honor to refer to my telegram no. 56 of May 21, 1946, 9 a.m., relative to my interview with King Abdul Aziz at Riyadh, in company with Messrs. Harris, Buchanan and Tannous of the Department of Agriculture's special mission to the Near East.

This interview took place on the morning of May 18, 1946, following a 600-mile trek by royal car and truck from Jidda. The circumstances of the journey are secondary to the interview and are accordingly reported as an annex to this despatch.

His Majesty received the Harris Mission and myself with his usual warm cordiality. Since I had been to Riyadh for the first time not long before (my Despatch no. 37 of May 3, 1946), I made the introductions and was seated on the King's immediate right. Mr. Tannous, although a full-fledged member of the Mission, acted as interpreter, his performance far exceeding any which I have seen accomplished in Arabia except by Colonel Eddy.

Immediately after the interview Mr. Tannous and I made as complete a record of the conversation as we were able to do; and I offer it below as near-verbatim:

During the usual exchange of courtesies Mr. Afif Tannous explained that his knowledge of Arabic derived from his birth and education in the Lebanon, and went on to state that being a naturalized American of Arab blood, married to an American woman of identical background, he was deeply interested in the

cultural

CONFIDENTIAL

DEPARTMENT OF STATE
JUL 8 1946

.../6-1446

CS/V

Confidential File

استقبلني وبعثة هاريس جلالة الملك عبدالعزيز كعادته بكل حفاوة وتقدير. ولأنني كنت في الرياض منذ فترة ليست بعيدة للمرة الأولى (برقيتي رقم ٣٧ في ٣ مايو ١٩٤٦) قمت بتقديم الضيوف ، وجلست إلى يمين الملك مباشرة. وقام السيد طنوس، برغم أنه عضو رئيس في البعثة، بالترجمة التي تفوق فيها على جميع من سبقه في الجزيرة العربية عدا ما قام به الكولونيل إيدي⁽¹⁾.

---

(١) ويليام إيدي (William Eddy) عقيد في الجيش الأمريكي ، يتقن اللغة العربية ، تولى أعمال المفوضية الأمريكية في جدة من عام ١٣٦٣هـ(١٩٤٤م) وحتى عام ١٣٦٥هـ(١٩٤٦م) ، إذ انتقل الى اليمن. قام بالترجمة في لقاء الملك عبدالعزيز بالرئيس روزفلت في البحيرات المرة. وعمل مستشارا لشركة التابلاين خلال المدة من ١٣٦٦- ١٣٨٠هـ(١٩٤٧-١٩٦٠م). توفي في عام ١٣٨٢هـ(١٩٦٢) في بيروت.

وبعد المقابلة مباشرة قمت مع السيد طنوس بتسجيل الحديث الذي دار بيننا قدر الإمكان، وأرفقه في هذه الرسالة بشكل شبه حرفي:

«خلال تبادل التحيات الودية تحدث السيد عفيف طنوس عن معرفته باللغة العربية نتيجة لأنه ولد ودرس في لبنان، وأشار إلى أنه باعتباره يحمل الجنسية الأمريكية من أصل عربي ومتزوج من امرأة أمريكية من خلفية مماثلة له، فإنه يرغب في وجود علاقات بين أمريكا والعالم العربي. وقال السيد طنوس : إنه ينتمي إلى جمعية ثقافية في أمريكا تسهم في دعم هذه العلاقات والروابط».

أجاب جلالة الملك:

«**إن العمل الجماعي من التقاليد العربية وفي مصلحة العرب أيضا. وأملي الشخصي هو في وجود علاقات قوية بين العرب أنفسهم كخطوة أولى**، ثم في تنمية صداقة عربية كبرى مع دول الحلفاء خصوصا الولايات المتحدة وبريطانيا، وذلك وفق ترتيب منطقي. والعرب يؤمنون في الصداقة وفي ما تعنيه الكلمة».

وأجاب كل من الدكتور هاريس والسيد دين بوكانن على كلمات جلالة الملك عبدالعزيز بقولهم : إنهم يأملون أيضا في أن تقوم الولايات المتحدة بتقوية صداقتها وتعاونها مع العرب الذين تدين لهم أمريكا بمعظم حضارتها وعليها أن تسدد هذا الدين. وباعتبارهم أعضاء في البعثة الزراعية فإن تسديد هذا الدين يراود أذهانهم».

ورد جلالة الملك قائلا:

«نحن نقدر هذا، وسبق أن جربنا هذا التعاون، ونلنا ثماره وليس لدينا شك في أن هذا التعاون سوف يكون قويا في المستقبل. ولكن الشيء الذي يثير فينا الحيرة هو الطريقة التي تعاملت بها مؤخرا الولايات المتحدة وبريطانيا مع القضية الفلسطينية ؛ فقد حدد التقرير المقدم من لجنة فلسطين النقاط الآتية:

١ـ السماح لمئة ألف يهودي دخول فلسطين.
٢ـ إلغاء القيود المفروضة على الهجرة إلى فلسطين.
٣ـ إلغاء القيود المفروضة على بيع الأراضي في فلسطين.

و لا نجد في هذه التوصيات أو في التقرير بكامله أن اللجنة درست بشكل كاف تقويم الوضع أو حتى الاعتراف بمسألة العرب. وقد زارني اثنان من أعضاء اللجنة، أحدهما إنجليزي جلس يميني، والآخر أمريكي جلس يساري، وقمنا باستقبالهما ، وطرحنا سؤالا يعبر عن موقفنا نحو أي استقصاء أو بحث في مسألة فلسطين: هل جاءت اللجنة إلى هنا لتحقيق شيء شكلي تجاه أمر حسمت نتيجته في ذهنها مسبقا، أم جاءت إلى هنا للبحث عن الحقائق؟ إذا كانت الحالة الأولى صحيحة فإنه لا حاجة لنا إلى إضاعة وقتنا أو كلامنا. إن كلماتنا غالية علينا ؛ لأننا نقول ما نعنيه وملزمون بما نقول. أما إذا كانت الحالة الثانية صحيحة عندئذ يسعدنا أن نعطيكم الحقائق حسب ما نراها. قمت بإعطاء الرجلين حقائق الوضع ، وأثبت لهما عدالة القضية العربية. وأجاب العضو الأمريكي قائلا: كان الأمر غامضا في ذهني قبل أن أناقشه مع جلالتكم، ولكن بعد أن أوضحتموه لي الآن فإنني متفق مع رأي جلالتكم تماما».

وفي هذه اللحظة أظهر جلالته شعورا بارزا ، ولمحني ببصره على يمينه ، وقال لاثنين من مستشاريه اللذين كانا يجلسان بعيدا في الجانب الآخر من المجلس: «أليس كلامي هذا صحيحا؟ ألم يكن هذا ما قاله تماما؟». وكانت إجابتهما بالتأييد .

التفت جلالته إلينا قائلا:

«قال الرجل الإنجليزي : إنه نتيجة لسياسة الحكومة البريطانية السابقة فقد أصبح اليهود اليوم مسلحين في فلسطين وهم الذين قاموا بإلقاء القنابل على مواطنين بريطانيين وقتلهم».

عاد جلالة الملك إلى تأكيد كلامه وصحة ما نقله عنهم عن طريق سؤال مستشاريه مرة أخرى، قائلا: «بالإضافة إلى هذا، إنها حقيقة معروفة أن اللجنة تضطر إلى الحصول على حماية سيارات مصفحة

بريطانية عندما تقوم بزيارة المستوطنات اليهودية في فلسطين. والآن واليهود ما يزالون أقلية في فلسطين، ويتسلحون بشكل كبير، ويقومون بمثل هذا الاعتداء ضد الحكومة البريطانية القوية، ماذا نستطيع نحن العرب أن نتوقع منهم في حالة كونهم أغلبية في فلسطين؟

نحن العرب على استعداد أن نترك اليهود الموجودين من قبل في فلسطين يعيشون دون إزعاج. نحن على استعداد لتحقيق ذلك على الرغم من الحقيقة بأن لنا الحق في عدم قبولهم ورفض استيطانهم، بل لنا الحق حتى في طردهم ؛ لأنهم جلبوا ضد رغبتنا، ولأننا أصحاب الحق الشرعي في فلسطين ، وعشنا فيها حوالي ١٤٠٠ و ١٥٠٠ سنة. لقد أخذنا فلسطين من الروم ، وليس اليهود.

نحن العرب على استعداد أن نترك اليهود الموجودين من قبل في فلسطين يعيشون دون إزعاج. نحن على استعداد لتحقيق ذلك على الرغم من الحقيقة بأن لنا الحق في عدم قبولهم ورفض استيطانهم، بل لنا الحق حتى في طردهم

نحن على استعداد للوصول إلى حل وسط وقبول اليهود الموجودين في فلسطين سابقا، وذلك بسبب رغبتنا الشديدة في استمرار علاقاتنا الودية وتعاوننا مع دولتي الحلفاء الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا. لا أعتقد أن الشعب الأمريكي يقبل بالتوصيات التي توصلت إليها اللجنة إذا عرف حقيقة الأمر والوضع ؛ لأنه خاض حربا في هذه الأيام بتضحية كبيرة من أجل مبادئ العدل. كان الشعب الأمريكي يخشى اعتداء يابانيا لفترة طويلة ، ولكنه تمكن من القضاء عليه».

«عندما تقرر شركة ما البدء في مشروع، فإنها تعمل ذلك فقط بعد دراسة متأنية من خلال مهندسيها وخبرائها، ولن تفكر في استثمار مالها ووقتها دون عمل دراسة أولية وواسعة حول الحقائق. فلماذا تقوم حكومة بعمل معاكس لهذا؟ نحن العرب نقول: عندما يثمن تاجر قيمة سلعته هل يفكر فقط في حجمها في الميزان؟ إذن، إذا كانت شركة أو تاجر يبدآن بالعمل بعد حكم متأن، فمن باب أولى أن تقوم أي حكومة بدراسة الوضع قبل أن تعطي قرارها ؛ وذلك لأنها تتعامل ببضاعة أهم ، تلك هي

العلاقات الإنسانية والوعود الملزمة.

وبما أننا نتحدث عن الوعود، أود إبلاغكم أننا **نحن العرب نعد الوعد ملزما وأساسيا، وإذا أعطى رجل كلمته فإنه يلتزم بها**. ولدينا هنا اثنان من الوعود الواضحة: أولهما من رئيسكم السابق السيد روزفلت الذي أقدره بشكل كبير، وثانيهما من الكتاب الأبيض للحكومة البريطانية الذي حدد بكل وضوح سياسة مراقبة الهجرة وإيقاف بيع الأراضي إلى اليهود. وأبلغني روزفلت شخصيا، وأكد ذلك كتابة، أنه لن يتم اتخاذ أي عمل في فلسطين أو أي شيء سوف يؤذي العرب فيها دون التشاور مع العرب. وهذه ليست تصريحات مطلقة وغير واضحة ، بل وعود مكتوبة ورزينة. وبحوزتي نسختان من تصريحات الرئيس روزفلت، وقمت بإعطاء نسخة منها لرئيس الوزراء تشرشل عندما سألني عن موضوع النقاش الذي دار بيننا(٢). والآن هل سيتم الوفاء بهذه الوعود؟ أم هل سيتم نبذها وتجاهلها لمصلحة تلك التقارير مثل تقرير لجنة فلسطين؟

وخلال القلاقل في فلسطين التي حدثت قبيل هذه الحرب طلب مني الحلفاء مناشدة العرب هناك وأماكن أخرى للامتناع عن أي عمل يحرج الحلفاء الذين قالوا : إنه بعد الحرب سوف يتم الأخذ في الاعتبار كامل حقوق العرب. وتم ذلك ولم يحدث بالفعل أي أعمال عنف من قبل الفلسطينيين العرب أثناء الحرب. والآن ونتيجة لتقرير لجنة فلسطين جاءني العرب وقالوا: «أين الوعد؟ ولم أستطع الإجابة.

كل ما أستطيع قوله لهم هو ما وعدني به الحلفاء، وأضفت قائلا: أقول لكم ما قلته بالأمس، وما أقوله اليوم ، وما سوف أقوله غدا: إن السياسة المناسبة للعرب تكمن في تعاونهم واتصالهم ببريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية. وهكذا أيها السادة يمكنكم أن تدركوا مدى ارتباط هذا الموضوع بمبادئي وموقفي في العالم العربي».

كان صوت الملك خلال حديثه يهتز مرارا، وكان يتكئ على كرسيه ويومئ بيديه الكبيرتين بقوة. كانت طريقته في الكلام حقيقية ، وبدا

---

(٢) قابل الملك عبدالعزيز رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل في فندق الأوبرج على بحيرة قارون في الفيوم بمصر بعد أيام من مقابلة جلالته الرئيس الأمريكي روزفلت في عام ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م).

مخلصا بشكل قاطع(٣).

كان وضعنا ونحن نستمع إلى جلالته صعبا جدا، وعندما أردنا الحديث اخترنا كلماتنا بكل عناية ؛ لنعبر عن قلقنا وأملنا في الوصول إلى حل للمسألة من خلال العلاقات العربية الأمريكية. ولم يلق جلالته اللوم أبدا في حديثه على أي شخصية بعينها ، ولم يشر إلى أي اسم في واشنطن. وبكل أدب لم يعبر عن أي استياء تجاهنا. وعلى العكس، فقد أمسك جلالته أثناء حديثه بيدي ، وظل يمسكها قليلا بقوة قائلا: «لا تعتقد أنني لا أقدّر ما قام به الكولونيل أيدي وأنتم، وما قمتم به من مساعدتنا أثناء الحرب»(٤).

وفي حديثه عن أيدي عبر جلالته عن إعجابه المخلص به، وقال: «وصلتني رسالة من الإمام يحيى في اليمن بشأن زيارة الكولونيل أيدي أشار فيها إلى تقديره لتلك الزيارة وإعجابه بالكولونيل إيدي».

العشاء مع الملك والمزيد من النقاش حول فلسطين:

تناولنا في المساء طعام العشاء مع الملك وأبنائه ومستشاريه في القصر على الطريقة العربية. واستقبلنا شقيق الملك الأمير عبدالله وولي العهد الأمير سعود ، ثم قادانا إلى السلام على مضيفنا الملك. وكان يوجد في ذلك المساء السفير البريطاني بجدة السيد جرافتي سميث (Grafty-Smith) وسكرتيره الثاني في المفوضية السيد مورجان مان (Morgan Mann) اللذان وصلا إلى الرياض في ذلك اليوم عبر الجو. قادنا الملك نحو صالة كبيرة جدا ورائعة في زخرفتها حيث جلسنا واضعين رجلا على رجل، وكنا حوالي مئة شخص، أمام خط من عشرة صحون كبيرة، الواحد منها يصل قطره إلى حوالي أربعة أقدام ومملوءة بالأرز وذبيحة ضأن كاملة. جلس السيد جرافتي سميث يمين الملك وجلست يسار جلالته.

---

(٣) عبّر باركر هارت هنا بشكل واضح عن حقيقة طبيعة تفاعل الملك عبدالعزيز مع المواقف التي كان يتحدث عنها خاصة ما يتعلق بإخلاص جلالته في موقفه تجاه القضية الفلسطينية التي كانت تحرّك جميع مشاعره وأجزاء جسمه إلى درجة أن السيد هارت تأثر بصدق حديث جلالته ، وعبر عنه في هذا التقرير.

(٤) تمكنت المملكة العربية السعودية مثل بعض الدول العربية الأخرى من تجاوز أزمة الحرب العالمية الثانية ونقص الأغذية والمؤن الناتج عنها من خلال الإفادة من برنامج قانون الإعارة والتأجير الأمريكي الذي وفر للبلاد في تلك الفترة الحرجة الكثير من المؤن والمواد الفنية اللازمة.

كان الملك في مزاجية جيدة ، ودخل في مزاح كبير أثناء العشاء. وكان يجلس إلى جانب الضيوف والمستشارين مجموعة من الرجال الشبان ذوي الطلعة الجميلة يتقدمهم الأمير سعود، ومن بينهم كما عرفت بعض أبناء الملك وخاصة الأمير نواف البالغ من العمر ١٢ سنة الذي قابلته في سان فرانسيسكو(٥).

وعندما أبلغته بمعرفتي بعض الأمراء قال الملك: «جميع هؤلاء الرجال هم أبنائي ». وسألت جلالته: «كم عدد أبناء جلالتكم؟ » ويبدو أنه فوجئ بهذا السؤال وتردد قليلا ، ثم أجاب: «أعتقد أن الأبناء والبنات يزيد عددهم على السبعين»(٦).

وعاد جلالته مرة أخرى إلى الحديث عن فلسطين منبها ضيوفه الأمريكيين والبريطانيين إلى مواقف حكوماتهم. ولأنه لم يكن لدى أحد إجابة حول الموضوع فقد وصل الحديث إلى نهايته. وقلت : إنني آمل أن يستمر الملك عبدالعزيز في سياسته التي بدأها منذ ثلاث سنوات في إرسال السعوديين إلى زيارة الولايات المتحدة الأمريكية. وأشرت إلى ما بعثته زيارات الأمير فيصل وإخوانه في عام ١٩٤٣م وعام ١٩٤٥م من اهتمام كبير، وقلت : إن التفهم الأمريكي للعرب سوف يتم تعزيزه من خلال الزيارات المدعومة إعلاميا من هذا النوع.

أجاب جلالته: «أقدر ذلك، وسوف أستمر في إرسال أبنائي وأحفادي وأبناء أحفادي إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن هذا لن يحل مشكلة فلسطين. هناك مثل عربي ومحلي يقول : "إذا جاء الوجع (الألم) من البطن وين تجي العافية معه؟"، ومثل آخر يقول : "إذا صار خصيمك القاضي من تقاضي؟".

وبعد تناول طعام العشاء ذهب الأبناء ، وقاد الملك ضيوفه إلى غرفة جلوس صغيرة حيث تناولنا القهوة ، واستمعنا إلى بعض المزاح مثل الآتي:

---

(٥) كان صاحب السمو الملكي الأمير نواف بن عبدالعزيز من ضمن أعضاء الوفد السعودي الرسمي المكلف بالتوقيع على ميثاق هيئة الأمم المتحدة في عام ١٣٦٤هـ(١٩٤٥م) برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبدالعزيز .

(٦) جاءت إجابة الملك عبدالعزيز بشكل تقريبي، وعدد أبناء الملك عبدالعزيز وبناته وصل في نهاية حياته إلى (٣٦) ابنا و (٢٧) بنتا باستثناء المتوفين وهم صغار ، انظر: عبدالرحمن الرويشد، الجداول الأسرية لسلالات العائلة المالكة السعودية (الرياض، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م) ص ٢٣.

قام أحد الخدم بإحضار دهن العود الذي استخدمه الملك ، ثم ناوله كل واحد منا قائلا: «ادهن يديك ووجهك وبقية جسمك وسوف تحلم بزوجتك الليلة». وأمسك جلالته بيد السيد جرافتي سميث ، ثم وجه حديثه إلينا قائلا: «ليس لدى السيد سميث زوجة منذ عشر سنوات ، وتتابه الحمى كل يوم، في حين لدي أربع زوجات ، وليس لدي حمى على الإطلاق!».

ثم دارت بعد ذلك تعليقات حيوية حول ميزات التعدد في الإسلام مقارنة بالزواج الأحادي في المسيحية ، وذلك وسيلة للمحافظة على الشباب، ثم عاد جلالته إلى الحديث عن موضوعه المفضل:

«المسلمون يحترمون أهل الكتاب سواء التوراة أو الإنجيل أو القرآن. نحن جميعا نؤمن بأنه لا اله إلا الله، وبينما نعتقد بأن محمد عليه الصلاة والسلام آخر الأنبياء، فإننا نعتقد بنبوة موسى وعيسى عليهما السلام. وإذا تجرأ أحد الأفراد في هذا البلد على التحدث بكلمة ضد عيسى عليه السلام فإن نهايته الموت. بينما اليهود قاموا بقتل عيسى عليه السلام، نبيكم ونبينا، واليوم تحاربون من أجل حمايتهم، أنا لا أفهم ذلك!».

اللقاء الأخير:

وفي اليوم التالي في التاسع عشر من مايو التقينا الملك للمرة الأخيرة ، وحصرنا نقاشنا في أهداف بعثة هاريس. وكان الملك متعبا ، ويميل إلى النوم إلا أنه لم يفقد عناصر الحديث، وكان مهتما بالموضوع بشكل معتدل ، وليس عاطفيا، وعبّر عن رغبته في أن تركز البعثة اهتمامها على مشروع الخرج من خلال المحاور الآتية:

١- كيف يصبح مشروعا ذا مردود جيد (وعبّر جلالته عن الاعتقاد بأن المشروع كلّف عشر مرات مقارنة بما أنتجه حتى الآن، وأشار إلى أنه لا يعلم بأن المشروع كان يقدم أكثر من حيث القيمة من تكاليف التشغيل).

٢- أنواع المنتجات التي ينبغي تركيز الجهود عليها.

٣- المساحة التي يمكن استغلالها في ظل توافر المياه.

وعد أعضاء البعثة ببذل أقصى الاهتمام، وأكدت لجلالته أن ثلاثة من أعضاء البعثة يعدّون من أبرز المتخصصين الذين لديهم خبرة طويلة ، إذ

يمكنهم تقديم أحكام يعتمد عليها. ثم قدمنا الشكر لجلالته على ضيافته العزيزة، وغادرنا القصر.

وعند مغادرتي المجلس قابلت الأمير سعود بن جلوي، أمير الأحساء، الذي جاء إلى الرياض (حسبما علمت أخيرا) للحصول على توجيهات باعتباره أصبح أميرا على مقاطعة الظهران بدلا من خالد السديري.

الخاتمة

غادرت الرياض تلك الليلة بانطباعات قوية ومؤثرة التي سوف أحتفظ بها، وهي:

(١) الملك عبدالعزيز محبط ومتألم بشكل كبير نتيجة لتصريحات الرئيس ترومان بشأن قضية فلسطين، بالرغم أنه أشار في حديثه فقط إلى تقرير اللجنة. ويأمل الملك أن يدرك الشعب الأمريكي، الذي يكن لهم التقدير، بأن حكومتهم أساءت التقدير بشكل خطير في مسألة فلسطين، وأنها في طريقها إلى ارتكاب نقض العهد. ويؤمن جلالته بأن الشعب الأمريكي لا يدرك الوضع الفلسطيني، واتجه الآن نحو الإعلام كسلاح وحليف. وفي هذا المجال أعطى الملك أوامره للاهتمام بشكل خاص بالسيد إدوارد كورتيس (Edward Curtis) المراسل الصحفي لوكالة الأنباء "الأسوشيتيد" الذي أجرى مقابلة مع جلالته في الرياض في اليوم الثاني من شهر مايو ١٩٤٦م، وقام بمرافقة الشيخ عبدالله السليمان في رحلة الظهران-جدة عبر الرياض في اليوم التاسع من مايو. ونتيجة لتوجيهات جلالته أصر الشيخ عبدالله السليمان عند وصوله إلى جدة على أن يصبح كورتيس ضيفه الخاص.

وحديثا أصدر الأمير سعود تصريحا عاما في مصر عبر فيه عن رغبة الملك في الوصول إلى الشعب الأمريكي مباشرة.

(٢) لم يظهر الملك أي تغيير في موقفه الودي تجاه الأعمال الاقتصادية والتجارية الأمريكية. بل على العكس بدا الملك يعتمد على أرامكو أكثر من ذي قبل.

وفي إجابته لسؤال فلويد أوليغر (Floyd Ohliger) منذ أشهر حول صحة

ما يشاع بأنه سوف يلغي امتياز استخراج الزيت في حالة تأييد الحكومة الأمريكية للصهيونيين، قال جلالته : إن الإشاعة غير صحيحة مثلما تعلم الخارجية الأمريكية.

ومنذ رفض القرض من بنك إيكسيم (Eximbank) اتجه الملك عبدالعزيز نحو تنفيذ خططه الرامية إلى استثمار شركة أرامكو لتصبح مؤسسة تقرض ووكيلة عن الحكومة (ليست بهذا الاسم في الواقع) لتطوير القطاع العام. وشركة أرامكو لا تستطيع رفض أي طلب مساعدة يقدمه الملك، والشركة الآن مشتركة بثقلها في مشروعات عدة ، منها تأمين المياه في جدة، مشروع سكة حديد رأس تنورة-الرياض المقترح، ومشروعات عديدة ومهمة أخرى تتعلق بتطوير الطرق والموانئ. ولكن أرامكو تعمل بجد على جذب العديد من الشركات الأمريكية للمشاركة في هذه المسؤوليات ؛ لأنها ترغب في التركيز على أعمال الزيت.

.. ويأمل الملك أن يدرك الشعب الأمريكي، الذي يكن لهم التقدير، بأن حكومتهم أساءت التقدير بشكل خطير في مسألة فلسطين، وأنها في طريقها إلى ارتكاب نقض العهد.

(٣) يظل السؤال قائما ما إذا أن انهماك واشنطن المستمر مع الجانب اليهودي في المسألة الفلسطينية ورفضها المتواصل للاهتمام بالقضية العربية سوف يدفع أو لا يدفع الملك عبدالعزيز إلى اتخاذ موقف رسمي ما ضدنا مثل سحب مبعوثه الدبلوماسي أو إيقاف جميع المفاوضات. لم يقدم الملك لنا نفسه أثناء الحديث في حالة تنذر بقطع العلاقات بشكل كامل. ويبدو أن ثقة جلالته بأن "الروابط العربية مع الولايات المتحدة سوف تزداد قوة"، وموقف جلالته العام يعبران عن وجهة نظر حول العلاقات العربية الأمريكية بشكل يشمل قضية فلسطين وغيرها.

من جانب آخر لم تقدم الحكومة الأمريكية التزاما نهائيا حتى الآن. وإذا اتخذت واشنطن موقفا محددا لتنفيذ تقرير فلسطين فإن الملك عبدالعزيز سيضطر إلى اتخاذ قرار حيث تكون مصالحه الحقيقية، وربما يدفع إلى المحافظة على موقع زعامته لدى العرب الذي سوف يصعب المحافظة عليه في حالة تعرضه للوم نتيجة لعلاقاته الودية وقبوله المساعدة من حكومة نذرت نفسها للقضية الصهيونية. المخلص لكم.

باركر ت. هارت Parker T. Hart
الأمريكي في الظهران

المرفقات:

١- خط الرحلة ووصف موجز للسير عبر الجزيرة العربية،
١٤-٢٠ مايو ١٩٤٦م

أصل ونسخة - سري -
نسخة إلى: المفوضية الأمريكية- جدة، القاهرة، بغداد.

وصف للرحلة البرية من جدة إلى الرياض والظهران
١٤-٢٠ مايو ١٩٤٦م

(غير مقيد)

ملحق للرسالة رقم ٤٣، المؤرخة في ١٤ يونية ١٩٤٦م للسيد باركر ت. هارت، القنصل الأمريكي، الظهران-المملكة العربية السعودية، بشأن مقابلة الملك عبدالعزيز آل سعود بصحبة بعثة هاريس الزراعية، والرحلة البرية عبر المملكة العربية السعودية.

اليوم الأول: من جدة إلى عشيرة

في اليوم الرابع عشر من مايو خصصت الحكومة السعودية لنا سيارة فورد سعة خمسة ركاب وسيارة نقل صغيرة اللتين وصلتا إلى مقر سكن البعثة خارج مدينة جدة حيث كنت والدكتور هاريس ودين بوكانن والدكتور عفيف طنوس. كما زودنا الأمير فيصل[٧] بكافة احتياجات السفر، مثل: السائقين وطباخ وعدد من الخدم وماء وأغذية وأسرّة وخيمة. وفضّلنا السيطرة على مياه الشرب حيث جلبنا معنا صندوق من زجاجات الماء وأقراص ترطيب الحلق. كما ارتدينا الغترة العربية، ولكن نظرا لأن

---

(٧) صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبدالعزيز، نائب الملك عبدالعزيز في الحجاز ووزير الخارجية.

الدكتور هاريس ورفاقه ليس لديهم ملابس عربية ؛ فقد قمت بوضع العباءة والثوب الخاصة بي في الحقيبة ، وارتديت مثلهم الملابس الإفرنجية.

غادرنا جدة حوالي الساعة ٩,٣٠ صباحا عبر طريق مكة نحو وادي فاطمة حوالي عشرين ميلا من جدة ، إذ اتجهنا نحو اليسار عبر طرق ترابية متفرعة عن الطريق العام بعيدا عن منطقة الحرم ، واجتزنا الوادي نحو بدايته إلى أن تجاوزنا التلال المنخفضة على الساحل ، ووصلنا المنطقة الجبلية.

توجد العديد من مزارع النخيل في هذه المنطقة التي يكثر فيها زراعة الخضروات. ويوجد الماء الصالح في آبار هذه المنطقة التي تبعد عن جدة حوالي ٣٨ ميلا، كما توفر هذه المنطقة الغذاء لكل من مكة وجدة بشكل متنوع وكبير. وطرق الري المستخدمة في هذه المنطقة تقليدية. ولا يوجد ضخ للمياه من هذه المنطقة إلى جدة على الرغم من أن مشروعا لإنشاء أنابيب كان تحت الدراسة منذ فترة لدى مهندسي شركة أرامكو بتوجيهات الملك عبدالعزيز(٨).

وفي الوقت الحاضر تعاني محطة تحلية المياه في جدة من قرب توقفها التام بسبب عطلها ؛ مما أدى إلى اهتمام الملك عبدالعزيز وقلقه بشأن احتمال قلة مياه الشرب مرة أخرى خلال موسم الحج القادم. فقد حدث في العام الماضي قلة في مياه الشرب أدت إلى انزعاج الحجاج، وهذا الشيء يقلق الملك عبدالعزيز باعتباره حامي الأماكن المقدسة(٩).

توقفنا في "الجعرانة" ، وهي أول محطة لنا للراحة ، وهي مقر لبئر مياه للشرب مشهور ومحاط بمجموعة منازل صغيرة.

ومن "الجعرانة" إلى نهاية الوادي مشينا في مناطق صعبة وغير مأهولة. وظهرت الجبال الخشنة ، ثم دخلنا في طريق ضيق وصخري، ثم

---

(٨) قام الملك عبدالعزيز بتنفيذ المشروع المعروف بمشروع "عين العزيزية" الذي تضمن جلب المياه من الآبار والعيون في وادي فاطمة إلى مدينة جدة في عام ١٣٦٦هـ، مما أسهم في توفير مياه الشرب لأهالي المدينة والمسلمين القادمين للحج والعمرة. انظر: عبدالقدوس الأنصاري ، تاريخ العين العزيزية بجدة (جدة، ١٣٨٩هـ)

(٩) لا شك أن الملك عبدالعزيز أولى توفير المياه لكل من مكة المكرمة وجدة والطريق بينهما من أجل خدمة الحجاج ، وتمثلت نتائج ذلك الاهتمام في مشروعات المياه ، مثل : عين العزيزية ، وتطوير عين زبيدة ، وحفر المزيد من الآبار وإنشاء الأسبلة وتأمين الآلات لتقطير المياه المالحة (الكنداسات) في جدة.

سلكنا اتجاهات خاطئة هنا وهناك ، واضطررنا إلى الانعطاف لتجنب الاقتراب من منطقة مكة. وأخيرا وصلنا إلى وادي فسيح ، وواجهنا طريقا صعبا ، ولكنه مستخدم بشكل مستمر، وطريقا ممتدا وعلى جانبيه عمودان من الصخر الأصفر ، ويحملان كتابات عربية. وطلبت من السائق التوقف ؛ لكي أقوم بتصوير هذا المكان ، ولكنه رفض ، وقال: إن هذا المكان هو المدخل الشمالي الشرقي لمنطقة حدود الحرم وأعلامه.

اتجهنا شمالا عبر هذا الطريق الجديد ، وابتعدنا تدريجيا عن الدائرة الكبيرة للمنطقة المحرمة التي كنا ندور حولها كل الصباح. وقابلنا أثناء سيرنا في هذا الطريق حافلة تنقل مسافرين إلى مكة منهم شخص كان يلبس ملابس الإحرام البيضاء ، كان حاسر الرأس تنفيذا لتعاليم ملابس الحج التي تنطبق على زوار مكة لأول مرة دون اعتبار للموسم(١٠).

وفي حوالي الساعة الواحدة ظهرا توقفنا عند مجموعة من الصخور والمباني ذات الجبس الأبيض والمعروفة بـ"الشرائع" التي تقع حوالي ٩٨ كيلومترا من جدة و٢٠ كيلومترا من مكة. وكان في هذه المنطقة مركز حكومي أجرينا من خلاله آخر مكالمة هاتفية لجدة، إذ اتصلنا بالمفوضية ، وأبلغناها بتقرير عن تطور رحلتنا. ثم استرخينا قليلا في متكأ متواضع في غرفة الاستقبال ، وتناولنا ونحن نتضور جوعا أول وجبة جهزها عبدالرحمن، الطباخ السوداني الماهر المخصص لنا في هذه الرحلة.

وغادرنا الشرائع في وسط النهار متجهين نحو الشمال عبر طريق صعب. وظهرت الجبال أمامنا مرة أخرى ، ثم ارتفعنا قليلا في طريقنا عبر أودية جافة. وعند الظهر وصلنا ربما إلى ارتفاع يصل إلى ألف قدم فوق مستوى البحر. أخذت سلسلة الجبال حولنا في الارتفاع ، وباتت أكثر حدة بقممها السوداء المقلمة خالية من أي حياة نباتية. وكانت الحياة النباتية في الوادي ما تزال موجودة ، ولكنها تبدو بشكل أشجار السنط ونوعيات من نباتات الصمغيات التي تعطي سائلا وافرا يشبه الحليب. توقفنا عدة مرات للنظر في هذه الأنواع النباتية ، واتخذنا سياسة لذلك ، إذ تم توقيت هذه الوقفات ؛ لتنتهي عندما تعود سيارتنا بمحركها شديد

---

(١٠) الإحرام مطلوب من كل مسلم ومسلمة لتأدية العمرة أو الحج سواء في المرة الأولى أم المرات التالية.

الحرارة إلى العمل من جديد. فقد ارتفعت حرارة محرك سيارتنا بشدة بشكل مستمر ، وقام السائق بملئه بالماء من حافظة الماء المصنوعة من جلد الغنم التي كانت معلقة في مقدمة السيارة.

وأخيرا عند غياب الشمس أخذت الجبال في الاختفاء ، ودخلنا منطقة واسعة. وظهرت لنا قرية صغيرة، تعد أول منطقة مأهولة رأيناها منذ أربع ساعات، وهي "السيل" بالقرب من الطائف ، والتي تتكون من مجموعة من مقاهي مفتوحة ومحلات صغيرة تبدو في شكلها العربي الدقيق. يبدو أنها وبكل وضوح مكان لاستراحة كثير من المسافرين خاصة في مواسم الحج. ويبدو أن جاذبيتها هو في اسمها الذي يعني مياه الأمطار والوادي والذي يتميز بعدم تعرضه للجفاف. ويعد هذا المكان منطقة توقف طبيعية للرحلة الطويلة والمتعبة بين الرياض ومكة، كما يعكس وجود أماكن الجلوس المتعددة ومقاهيها الكثيرة ووفرة الطعام بها عن حركة جيدة.

وفي الوقت الذي وصلنا فيه لم يكن هذا المكان تقريبا مزدحما بالمسافرين، وبكل حرارة وفضولية كبيرة رحب بنا السكان من شبان ورجال في كل الأعمار وعدد من النساء المحجبات اللاتي كن جريئات في حديثهن معنا بوجود رجالهن. وكان من أبرز المسافرين المتواجدين في هذا المكان مجموعة من سائقي شاحنات حكومية وصقار كان يستعرض طيره المحجب بكل فخر.

وباستعراض المحلات لحظت أن كل محل كان لديه مخزون كبير من أعواد ثقاب "أوهايو"، وكان ثمن العشر علب منه يصل إلى ما يقارب الدولار الواحد. واتضح لنا خلال الأيام التي تلت في هذه الرحلة أن هذا النوع من الثقاب منتشر في أنحاء البلاد ، إذ رأيناه في كل محل موجود في القرى التي مررنا بها في طريقنا.

وفي الأسواق الكبيرة في الرياض وجدنا منتجات أمريكية أخرى مثل التبغ الأمريكي، وأحبار كوينك، والمواد المكتبية، والمواد الصحية المتعددة في أماكن العرض. وكل هذه المنتجات هي للاستخدام المحلي إذ لا يوجد سياحة، والأجانب ما يزالون نادرين جدا داخل المنطقة. ومن الواضح أن المنتجات الأمريكية الصغيرة وجدت طريقها إلى قلب الجزيرة العربية المنعزل ، وحظيت بالأفضلية - ربما مؤقتا- على المنتجات الهندية والبريطانية.

ومع غروب الشمس ونحن على ارتفاع يصل إلى ألفي قدم أو أكثر أصبحت الرياح باردة بشكل سريع. وفي أحد الكهوف قام الخدم بوضع السجاد الفارسي على الأرض وإضاءة المصباح، ثم قدموا لنا وجبة أمريكية معلبة ومخصصة للرحلات.

ولم يتم خلال هذه الرحلة تقديم وجبة طعام بالطريقة العربية. خدمتنا كانت تتم أولا ووحدنا، بينما في الوقت نفسه كان الخدم والسائقون يقومون في كل مكان نصل إليه بشراء خراف حية وذبحها وسلخها للاعتماد عليها في طعامهم. لقد قاموا بإطعام أنفسهم بشكل جيد ؛ لأنهم يسافرون معنا على حساب الملك.

وبعد أن تناول مرافقونا طعامهم ، وأدوا صلاة العشاء واصلنا سيرنا. وبقي سلسلة جبال صغيرة واحدة لنعبرها، وعندما عبرنا آخر ممر ضيق ووصلنا إلى سهل واسع في أعلى الجبل كنا قد تجاوزنا جغرافيا - وليس سياسيا - منطقة الحجاز. كان القمر مرتفعا ونوره منتشر دون حدود نحو الشمال والشرق والجنوب. وزاد السائق في سرعة السيارة بمعدل يصل إلى أربعين ميلا في الساعة خلال الثلاث الساعات التالية.

ومن الواضح أن المنتجات الأمريكية الصغيرة وجدت طريقها إلى قلب الجزيرة العربية المنعزل، وحظيت بالأفضلية - ربما مؤقتا - على المنتجات الهندية والبريطانية.

وتوقفنا عند منتصف الليل تقريبا وكان معظمنا يغط في النوم، وبدت لنا قرية نائمة ومظلمة ، وقمنا بنصب مخيمنا على حافتها. كانت هذه هي "عشيرة"، وهي مركز حكومي ومحطة بنزين. وخلال مدة قصيرة تم توفير الأغطية والأسرة ، ونمنا بين أغطية نظيفة وأعيننا تنظر إلى النجوم.

اليوم الثاني: من "عشيرة" إلى "المويه"

وفي فجر هذا اليوم قام السوداني النشط بتشجيع الآخرين للعمل بشكل جاد وتجهيز الإفطار المكون من الشاي والخبز المحمص والزبد والبيض، والانتهاء من ملء خزانات الوقود وبراميل الماء. كما تم وضع

شحنة ثقيلة من الحطب في السيارة. إذ بقايا الأشجار الصغيرة متوفرة في هذه المنطقة، وفي الرياض يصل قيمة حزمة حطب ملء الذراعين أربعين ريالا (١٢ دولارًا)، ربح لا يمكن أن يتجاهله مرافقونا.

لم ننتظر وصول الإمدادات ، وسرنا شرقا عبر سهل أخضر تتوافر فيه النباتات بشكل غريب بالنسبة للجزيرة العربية المعروفة بالجفاف. أوقف كل من الدكتور هاريس والدكتور بوكانن السائق عدة مرات للنظر في بعض النباتات البرية من فصيلة البقول التي كانت جديدة عليهما، ولكن الدكتور بوكانن – عالم نباتات معروف – تمكن من تصنيفها. وكانت قبائل البدو والإبل منتشرين في كل مكان.

وبعد ساعة أو ساعتين انتقلنا من تلك السهول الممتعة إلى أراضي قاحلة سوداء نتيجة لآثار البراكين وحممها، وأبلغنا السائق أننا دخلنا منطقة نجد. بدأ السراب في الظهور عندما أخذت الشمس في الارتفاع.

عاش أهل الحجاز في الماضي في تلك المنطقة الغنية التي تركناها وراءنا، إذ جلبت الجبال المجاورة أحيانا بعض المطر، إلى أن تمكن الملك عبدالعزيز من توحيد السهل ومنطقة الحجاز بأكملها. نحن الآن في منطقة النجدي العربي المنعزل، مصدر قوة ابن سعود ونقطة الانطلاق التقليدية لتوحيد البلاد.

وبعد أربع ساعات وصلنا قلعة بشكلها الصخري الأسود المعروفة بـ"المويه". اقتربنا ودخلنا بوابة ضيقة عبر جدران ثقيلة من صخور بركانية، وأعلن السائق أنه سوف يتوقف هنا انتظارا للسيارة الأخرى.

البيوت التي تحويها هذه البلدة جديدة وغير مكتملة ، وفيها حصن تحت الإنشاء. يبدو أن هذه المنطقة مهجورة، ولكن حارسا ظهر علينا ، وفتح البوابة ، فدخلنا إلى مجلس مخصص للقهوة المعتادة ، فيه سجاد. مضى الوقت والسيارة الأخرى لم تصل بعد. انتظرنا دون غداء ونحن في أشد الجوع، ثم نمنا قليلا وأغطية رؤوسنا على وجوهنا للتخلص من الذباب المصر على ازعاجنا، في حين ذهب السائق للبحث عن بقية مرافقينا في السيارة الأخرى وإحضار الطعام. وعاد السائق في نهاية اليوم مع الطباخ وبعض المواد التموينية، وبالأخبار أن عطلا جرى

للآخرين.

وفي المساء وصلت السيارة الأخرى ببطء شديد إلى مقرنا ، إذ أعلن في الحال عن عدم قدرتها على مواصلة الرحلة. عقدنا اجتماعا لمناقشة المشكلة ، وعلمنا بوجود أمير محلي يسكن في زاوية أخرى من هذه البلدة، ويمكن أن يقدم المساعدة لنا. وسرنا مع أحد خدامنا نحو حجرة صخرية ضيقة تشبه برج محصن من العصور الوسطى، دون نوافذ وبباب واحد فقط. وقابلنا شاب عربي يقظ يتسم بوقار وقوفه ووديته. عرض على رئيسنا توفير سيارة نقل متوقع وصولها تلك الليلة من الرياض في طريقها إلى الحجاز، وبهذا العرض المطمئن جهزنا أسرتنا تحت النجوم مرة أخرى.

اليوم الثالث: من "المويه" إلى "الدوادمي"

كانت المنطقة ذات الحمم البركانية المتدفقة حارة ، وكنا سعداء عندما توقفنا للراحة في وقت الظهيرة بمنطقة فيها مجموعة من الآبار تسمى "الدفينة". إن الشكل الوحيد في هذه المنطقة المعزولة والخالية من الصخور هو تلك البراميل سعة (٥٠) جالون مملوءة بالرمل والموضوعة بشكل عمودي مع تغطيتها بالطين. قام أحد خدامنا السودانيين بوضع سجادنا الفارسي في أحد هذه الأماكن ، وحضر نفسه لتقديم الغداء.

حدث في الخارج نزاع وفوضى حول أحد الآبار ، وذهبنا للتحري في الموضوع. وكان يوجد حوالي خمسين أو ستين جملا تسحب الماء من البئر متسلقة هضبة صغيرة ، وتسكبه في حوض صخري قطره (٣) أقدام وعمقه ٦٠ قدمًا. وكانت فوهة البئر ضيقة جدا إلى درجة أنه يصعب رؤية الماء في العمق حتى ولو كانت الشمس عمودية فوق الرأس. ويعلو البئر خشبه مزودة ببكرة من الخشب الثقيل يمر فيها حبل مصنوع باليد مربوط بدلو من جلد الماعز الذي يفرغ منه الماء بواسطة أحد البدو في أحواض من جلود مدبوغة ممدودة على قواعد خشبية. وفي نهاية الطرف الآخر جمل وحمار يسحبان حبلين معا، بشكل غير متجانس لضعف التوزيع بينهما، وقام الجمل أمامنا بالتراجع إلى الخلف ، وانطلق بنفسه مربكا

ومعطلا الحركة ؛ مما أدى إلى وقوع الدلو والحبل في البئر.

ومع أن حبلا ودلوا جديدين وُفِّرا إلا أن البدوي هذه المرة فضَّل رفع الماء بواسطة الرجال الذين شرع ستة منهم في العمل وصوتهم الغنائي يرتفع. وعند تفريغ الدلو تتقدم الجمال ، وتخرج المياه الصافية بنغمة موسيقية من الغروب التي تحمل الماء. وتجف الأحواض سريعا حالما تمتلئ بالماء. وفي آخر الأمر تحصل الجمال على حاجتها من مياه الشرب ثم الماعز.

سألت: "كم يأخذ الجمل عند شربه ما يحتاج إليه من الماء؟" أجاب أحد الخدم: "ست تنكات". وبعد بحث يسير تبين لنا أن التنكة تعادل تقريبا جالونين. وسألت أيضا: "وكم يكفيه ذلك؟" ، وكانت الإجابة "أربعة أو خمسة أيام".

وبعد الغداء والراحة واصلنا السير بشكل عاجل حتى وقت الغروب، إذ وصلنا إلى أول سلسلة من الهضاب منذ منطقة الحجاز، وذلك في وادٍ حيث توجد بلدة "عفيف" الطينية، وهي محطة وقود وتزويد، ويوجد بها مهبط جديد للطائرات. وتعد "عفيف" من المحطات المهمة في شبكة المواصلات الداخلية البسيطة. وهنا في عفيف تم الانتهاء حديثا من حفر بئر جديدة يصل عمقها إلى (١٣) قامة (أي حوالي ٧٨ قدمًا) استغرقت ستة أشهر من الحفر التقليدي.

افترشنا سجادنا في موقع بأطراف البلدة ، وتناولنا العشاء والقمر مرتفع، ثم واصلنا السير ليلا ونحن ننام قليلا ونصحو حتى توقف سائقنا عند قلعة كبيرة تتسم بأبعادها العظيمة.

هذه هي "الدوادمي"، مبنية حديثا مثل معظم حصون ومحطات اللاسلكي للمملكة، ولكنها تتسم بشكلها المعماري من القرون الوسطى وطابعها النجدي التقليدي. وبلدة "الدوادمي" تقع في واحة تبعد حوالي ميلين، بينما تم بناء القلعة على حافة الوادي في الصحراء المفتوحة.

كنا متعبين جدا ، ونبحث عن مكان للراحة ، ونمنا على الرمال حتى وقت متأخر في الليل عندما وصلت الشاحنة الأخرى ، واستيقظنا للحصول على أسرتنا الحديدية.

اليوم الرابع: من "الدوادمي" إلى "الجبيلة"

وبعد مغادرتنا "الدوادمي" بقليل تركنا الأرض الصخرية. ودخلنا أول

منطقة رملية معروفة باسم "نفود السر". من خلال قيامي سابقا بالسير على الرمال بشكل كبير في ساحل الخليج العربي، فقد كنت قلقا بشأن ما إذا كان بحوزتنا إطارات قوية. ولكن هذا لم يقلق سائقنا على الأقل على الرغم من أننا كنا في تلك اللحظة في غراز. وعندما نهضت للمساعدة في الحفر اتضح لي السبب. فقد كانت حبات الرمل خشنة ومتنوعة في الحجم بينما رمال منطقة الدهناء وبقيق المعروفة لي كانت ناعمة جدا.

لم يكن من الضروري تفريغ هواء الإطارات، وقمنا جميعا ماعدا السائق بدفع السيارة إلى أن خرجت من موقع الغراز. لم نتوقف مرة أخرى إلا للسماح للسيد بوكانن بجمع بعض العينات النباتية في طريق مسافته ثلاثين ميلا من الرمال المتدرجة.

وفي وقت الغداء توقفنا عند بلدة "مراة"، واحة يقطنها حوالي خمسمائة شخص. الحرارة هنا كانت رهيبة. والتجأنا إلى عريش من سعف النخل ، وخلعنا أحذيتنا ، وتوقفنا عن الحركة. ولحقت بنا الشاحنة في آخر الأمر ، إذ قمنا بنصب خيمتنا لأول مرة.

لم تكن "مراة" مختلفة عن تلك البلدان والمحطات الموجودة على الطريق (تبتعد بعضها عن بعضها الآخر حوالي أربع ساعات بالسيارة)، وفي البلدة قلعة وحصن جديد، وبئر وقرية بالجوار.

وفي هذا الوقت أصبح طعامنا المعلب والمخصص للسفر قليلا ، وأوعزنا إلى طباخنا ليطعمنا من لحم الضأن الطازج، وحدث أن صار الضأن على حسابنا، وهو نوع من "طعام الكابتن" على حساب الضيوف والمعتاد في نهاية أي رحلة. في اليوم التالي سوف نكون في الرياض. وكانت الفاتورة ٢٥ ريال (حوالي ٧,٥٠ دولارًا) قدمها عبدالرحمن ، ولم تكن مرتفعة لعدد اثني عشر شخصا.

ووصلنا في تلك الليلة إلى "الجبيلة"، على بعد ساعة من الرياض، وفضلنا التوقف فيها بدلا من ازعاج الملك ودخولنا المدينة متأخرين ، إذ يبلّغ الملك بوصول أي زائر إلى المدينة في الحال. توقفنا ، ونمنا خارج المدينة فوق سطح أحد المباني.

الخاتمة

وفي صباح اليوم التالي، ١٨ مايو، ارتديت الملابس العربية ، وقدمت زملائي للملك عبدالعزيز. وبعد هذه المقابلة التي دوَّنت تفاصيلها في الرسالة المرفقة قام المسؤول عن الضيوف بتزويد كل واحد منا بالملابس العربية لارتدائها في مناسبات الظهور القادمة. ولا يوجد الكثير للحديث عن غير رحلتنا إلى الرياض وإلى الخرج. زار الدكتور هاريس وزملاؤه المزارع الملكية التي استمتعوا بها ، وفحصوها جيدا، كما قاموا بزيارة عامة لمدينة الرياض نفسها.

وبعد آخر مقابلة في ١٩ مايو انتظرنا حتى بعد الظهيرة قبل سيرنا نحو "الخرج" التي تبعد حوالي خمسين ميلا جنوب الرياض ، وعبر أسوأ طريق مررنا به حتى الآن. وصلنا إلى مقر البعثة في "البجادية" حوالي العاشرة مساء ، واستمتعنا بالحمّام والقهوة الأمريكية.

وفي الصباح التالي سلمت رعاية فريق هاريس إلى دافيد روجرز (David A Rogers) وقام مساعده رالف سنيدو (Ralph Snidow) بمرافقتي بسيارته إلى الظهران. وعاد سنيدو إلى الخرج في ٢١ مايو مع السيد ريتشارد سانجر (Richard H Sanger) من وزارة الخارجية الذي رافق الدكتور هاريس وفريقه لزيارة الهفوف في طريقهم إلى الظهران.